اصحابها وتهاجم الخصوم بل انَّ الدوارع مع كل قوَّتها وصفائحها الفولاذيَّة لا تقوى على كرَّة هذا العدو المتستر . ومن خواصها انها تصلح كلَّ الصلاح لحفظ سواحل البلاد ولا يصعب نقلها مع الدوارع في الاسفار البعيدة فتُلقى في البحر عند اللزوم

فيا ليت شعري ماذا تكون الحروب البحريَّة في مستقبل الزمان . والغواصات تفجأ اسطول العدوّ من حيث لا يشعر . والمظنون ان ارباب البحر سيسرعون الى وضع سفينة مضادَّة للغواصات كما فعلوا بالنسَّافات فوجدوا اتلافي أضرارها طرائق شتى . الَّا انَّ فرنسة واثقة اليوم في سبق سفنها الغواصة وقد خصَّصت لبرنامج سنتها الحاليَّة مبلغًا وافرًا لتجهيز ثماني غواصات جديدة على طراز السفن التي سبق وصفها ذات المحرّكين اعني الكهرباء وغاز البترول . فدخلت بذلك الغوّاصات في طور جديد وصارت تُحصى في عداد الاساطيل الحربيَّة تجاري في غمر المياه تنانين البحار . الَّا انَّ جسمها حديد وقلبها نار . تقذف من فوّهاتها الموت والدمار

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

آثار الرومانيين في لبنان (تتمَّة)

يظهر ممَّا تقدم ظهور الشمس في رابعة النهار انَّ الرومان بجلبهم المياه من الينابيع النازحة اخصبوا البلاد التي مدُّوا فوق رواقها حمايتهم . ولعلَّهم لم يكتفوا بذلك بل اقتسموا المياه في المدن فجعلوا لكل دار قسطًا كما تفعل في زماننا شركات المياه . ولنا شاهد على صحَّة ذلك بكتابة وُجدت في مستعمرة رومانيَّة من اعمال افريقية كانت اصغر شأنًا من بيروت وقد ذُكر فيها صريحًا هذا تقسيم المياه على بيوت الاهلين (١ . فلا نظن انَّ بيروت حُرمت ما لم تحرمهُ غيرها من المستعمرات وهي اعظم منهنَّ قدرًا

١) راجع مجموع الكتابات اللاتينيَّة (C. I. L., VIII, 51)

ومن افضال الرومانيين التي لا تُنكر السكك والطرقات. فانهم ما نَشبوا ان احتلّوا ربوع الشام حتى سعوا باصطناع السكك فيها. وكانت غايتهم الاولى بذلك ان يمهدوا الطرق لجيوشهم ثمّ ينشطوا بين رعاياهم التجارة والمعاملات. ولم يثنِ عزمهم ما اقوه في لبنان من المسالك الوعرة والصخور المرتفعة فانّ همّتهم لم تعرف الكلل فوثّروا الطرق ومهّدوا السُّبل في جميع انحاء البلاد التي فتحوها. وكانت السكة المارّة على سواحل فينيقية من عهد قدماء المصريين في القرن الخامس عشر قبل المسيح كما تشهد بذلك المكاتبات المكتشفة حديثًا في تلّ العمارنة (١ وقد جاء فيها ذكر العجلات الحربية التي لا يمكن ان تسير دون سكك منظّمة. بيد ان هذه السكة القديمة لم يبقَ لها أثر بخلاف سكّة الرومان فانّ بقاياها لا تزال الى يومنا ظاهرة على الساحل. وكذا قل عن جميع السكك التي تولّوا صُنعها في لبنان

اما الذين كانوا يقومون بهذه المشروعات الجليلة فهم جُند الرومانيين. ومصداق ذلك في كتابة لاتينيّة نُقشت عند معبر نهر الكلب. على انّ التاريخ ينبئنا بان الجنود الرومانيين في كلّ البلاد التي فتحتها رومة اعمالًا تُعدّ من اعمال الجبابرة. فكم من قصور وقلاع شيّدوا وجسور عظيمة عبّروا وخنادق حفروها واسوار ضخمة ابتنوها. وكان يسير في عداد الجنود قومٌ من المهندسين والصُنّاع يقومون بهذه الاعمال

ومما امتازت به السكك الرومانيّة الوثاقة والمتانة مع توفير اسباب الراحة لبني السابلة. فكانوا يجعلون وسط السكّة مرتفعًا عن الحضيض يفرشونهُ بصفائح كبرى من الحجارة البركانيّة او ما شاكلها صلابةً. ولئلّا تنخسف بها الارض كانوا يضعون لسندها ثلاث طبقات متوالية اسفلُها من الحصباء والرمل ووُسطاها من دقيق الحجارة المعجونة بالكلس اما الطبقة العليا فكان سُمكها ١٥ سنتيمترًا تتركّب من كِسَرات الخزف والآجرّ بينها اللاط الشديد. وكان على جانبي الطريق مسلك للسابلة (Trottoirs) برفعة قليلة عنها وفي طرفيهِ حجارة ضخمة

وكان الرومان يضمنون الامان لسككهم بان يقيموا من مسافة الى اخرى مراكز لجندهم وخانات للسفر ومرابط للخيل ومحطّات للبريد

---

١) راجع كتاب الاب ديلاتر (Delattre) اليسوعي المُعنون: Le Pays de Chanaan, province de l'empire égyptien, p. 39

وكانوا ينصبون من ميل الى آخر انصابًا من الحجارة فيها ارقام تدلّ على مسافات الطريق وبُعد المكان عن حواضر المُدن. وربَّما كانوا ينقشون في هذه الانصاب اسم القيصر الذي امر بنَهج الطريق او اصلاحها. وهذه الانصاب مكّنت اهل البحث والتنقيب من تتبُّع آثار سكك الرومانيين. وتراها ملقاةً على ساحل البحر غائصةً في الرمل او مطمورة بين الردم وهي تدلُّ على السكّة الساحلية التي مرَّ ذكرها. والحقّ يقال انَّ هذه السكّة كانت طُرفة من عجائب البنايات وتراها الى اليوم منقورة في الصخر بقرب نهر الكلب وجونية. وعند ممرّ السيول والانهار ترى آثار الجسور العظمى التي كانوا اصطنعوها. نخصّ منها بالذكر جسر المعاملتين الذي لم يزل صابرًا على آفات الدهر (انظر الصورة ص ٤٤٠)

ومن سككهم الناطقة بفضلهم الطريق التي اصطنعوها من جبيل الى بعلبك وهي تمرُّ في اعالي لبنان فوق العاقورة وهناك شِعب بين جبلين تخرقه الطريق فتفضي الى بركة اليمُّونة ثمَّ تتَّسع وتمتدُّ فتُصبح من احسن السكك الجبليَّة واتقنها لكنَّ آثارها في منعطف لبنان الشرقي دارسة. ولعلَّ هذه الطريق سبقت عهد الرومان وما لا مُشاحّة فيه انَّ الرومان تولوا اصلاحها وتوسيعها كما يؤخذ ذلك من كتابة لدوميطيانس قيصر في آخر القرن الاوَّل للمسيح وُجدت عند المكان المسمَّى بدرَّاجة مار سمعان

هذا ومهما توغَّلت في لبنان وجدت للرومانيين مآثر وكتابات ونقوشًا. مثال ذلك الكتابات التي تراها في الوهاد الراقدة بين الصنين وغابة الأرز لاسيما في مقاطعات العاقورة وتنُّورين وقرطبة حيث تجد كتابات عديدة خُطَّ فيها مرادًا اسم ادريانُس الملك وحروف هذه الكتابات تبلغ نصف ذراع طولًا وقد اعتبرها بعض اهل تلك النواحي كأرصاد تحتها كنوز دفينة فبحثوا عنها بعد نقر الحجارة وتحطيم الكتابات. امَّا سبب تكرار اسم هذا القيصر الرومانيّ فلكونهِ قضى في بلاد الشام سنين طويلة وكان يصحبهُ في إسفارهِ عددٌ غفير من النقَّاشين وارباب الصناعة والحرف. ومن المرجَّح انَّهُ مرَّ بمدينة جبيل وزار معابد الزُّهرة في لبنان

وممَّا يعود فضلهُ الى الرومان فيستوجبون لهُ الشكر العميم عنايتهم بنصب الاشجار في لبنان. وقد مرَّ لنا في المشرق (١ : ٧٢٨) كلام في ذلك وبيَّنَّا هناك انَّ لبنان كان

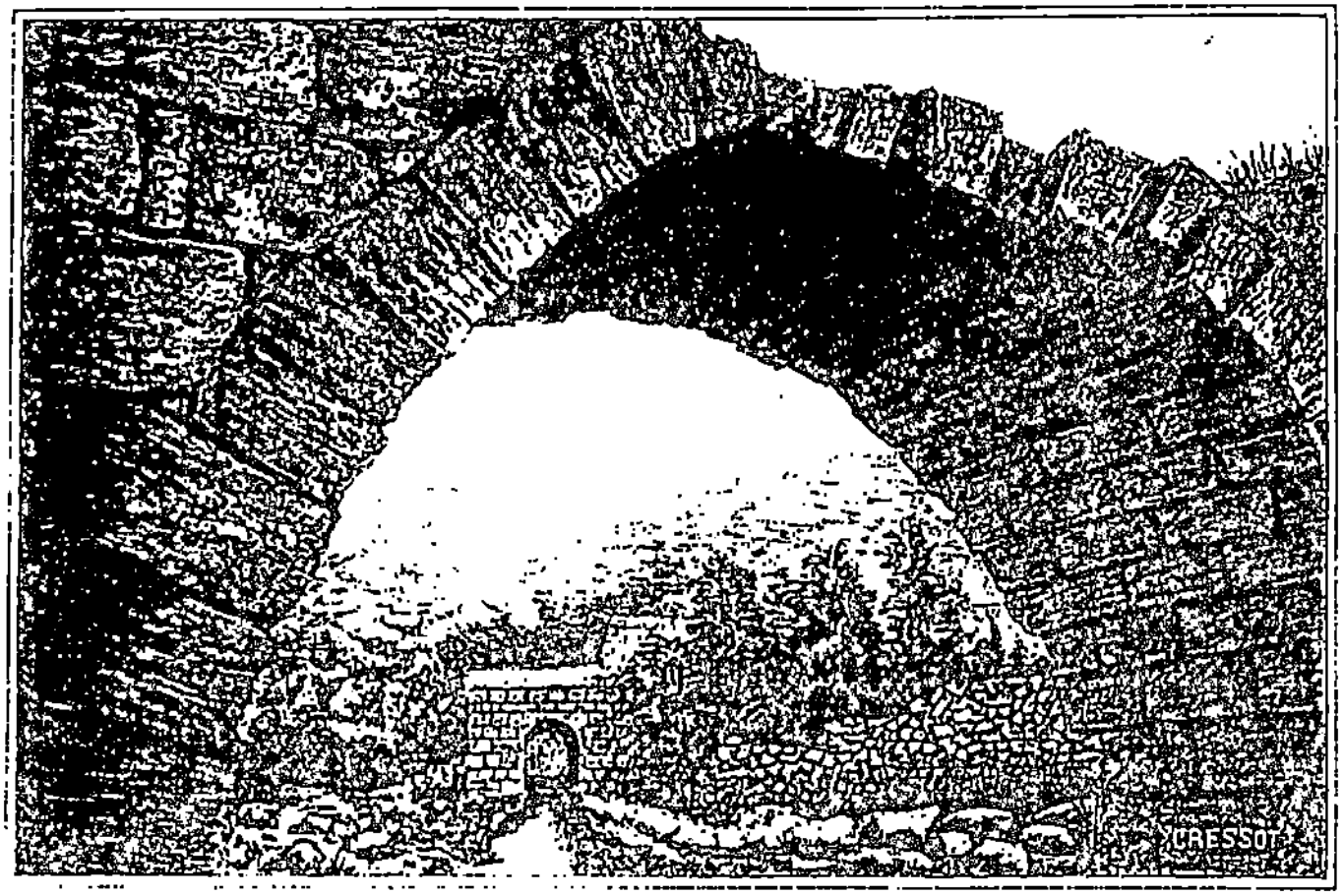

جسر العاملتين الروماني

في القرون الخالية مجتلًا بالغابات تعلو قنتهُ ضروبٌ من الاشجار. واثبتنا ايضًا انَّ الحكومة الرومانيَّة كانت احتكرت لها اربعة اصناف منهـا وهي العرعر والأرز والسَّرو والصنوبر (١ وكلُّها من اشجار الجبال المتينة الخشب الوارفة الظلّ اختصَّها الرومان بانفسهم لئلاَّ يتصرَّف بها الاهلون فيقطعوها بلا حكمة. وكان الرومان يتَّخذون منها الخشب لتجهيز سفنهم وابتناء مساكنهم في سوريَّة

ومما يُخبر عن بمبيُوس القائد الروماني فاتح الشام أنَّهُ اصطنع لهُ اسطولًا من خشب لبنان فقطع دابر القرصان الذين كانوا يتجوَّلون في بحر الروم متلصِّصين. ولمَّا انتشبت الحرب بين بمبيُوس المذكور ويوليوس قيصر تولَّى كاسيوس من اصحاب بمبيُوس قيادة اسطول الشام وأبحر بها الى صقلية لمحاربة سفن قيصر واحرقها (٢. وكلُّ ذلك دليل على اهتمام الرومانيين بزراعة لبنان وتوفير غاباتها

ومن كلّ ما سبق يفهم القارئ ما للرومان من المشروعات الطيِّبة والاعمال الجليلة التي لم نذكر منها سوى بعض من عدّ. وفي تتمة مقالاتنا عن آثار لبنـان سيأتي ذكرهم غير مرَّة. وفي ما سبق كفاية لتقدير اعمالهم

وخلاصة قولنا عن الرومان انَّهم في ولايتهم كانوا يهتمُّون بصوالح رعاياهم ويوفِّرون لهم اسباب النجاح ويوسعونهم أمانًا وراحةً ونال اهل سوريَّة بهتمهم قسمًا وافيًا من ذلك السلام الذي نُسب لرومة (pax romana) متَّعنا الله بمثلهِ في ظلّ دولتنـا العلية آمين (ستأتي البقيَّة)

---

١) وقد ارتآى العلَّامة الاب مرتينوس اليسوعيّ في تاريخ لبنان انّ الكتابة التي تدلُّ على احتكار الرومان لهـذه الاشجار والتي شرحناها في المشرق (١ : ٧٢٧) انَّما كان لها معنًى آخر. فيظنُّ الاب المذكور انَّ الرومان كانوا خصَّصوا هذه الاشجـار للآلهة عشتروت او الزُّهرة. قال: «ومما يؤيِّد رأيي ان احتكار هذه الاشجار لم نجد لهُ اثرًا سوى في بلاد جبيـل حيث كانت عبادة الزُّهرة متنابةً شائعة. ثم كثيرًا ما ترى على الحجارة التي وردتْ فيهـا الكتابة المذكورة حروفًا ثلاثة غيرها باللاتينيَّة وهي D F S معناها على ظنّنا D(eæ) F(ecit) S(acrum) «خصَّصها بالإلهة». اي انَّ ادريان الملك خصَّص بعبادة الزُّهرة الاربعة الاصناف من الشجر المذكور» (قلنا) وهذا شرح يدلُّ على دقَّة نظر صاحبهِ ولعلَّهُ لا يخلو من الصواب

٢) راجع تاريخ يوليوس قيصر (Cesar, *Bell. Civil.* III,)